

الرَّسَالَة ٣٨

بَرَكَاتُ الشُّكْرِ

(Arabic - The blessings of praise)

أحبائي: مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: بَرَكَاتِ الشُّكْرِ

ومن إنجيل لوقا الأصحاح السابع عشرَ نقرأ العددين الخامس عشرَ والسادس عشرَ.

"فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شَفِيَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللَّهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ.. وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِندَ رِجْلَيْهِ شَاكِرًا لَهُ.. وَكَانَ سَامِرِيًّا".^١

الْبَرَصُ دَاءٌ خَطِيرٌ.. وَفِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ كَانَتْ تَزْدَادُ خَطُورَتُهُ لِأَنَّ الْمَرِيضَ بِهَذَا الدَّاءِ عِنْدَ الْيَهُودِ كَانَ يُعْتَبَرُ نَجِسًا حَسَبَ شَرِيْعَةِ مُوسَى.. وَيَلْزَمُ عِزْلَ الْأَبْرَصِ عَنِ النَّاسِ عِنْدَ أَطْرَافِ الْقَرْيِ وَالْمَدُنِ حَيْثُ تَتَوَفَّرُ الْأَمَاكِنُ الْمَهْجُورَةُ حَتَّى لَا يَخْتَلِطُونَ بِغَيْرِهِمْ.. وَكَانَ مَحْظُورًا عَلَى الْمَرِيضِ بِالْبَرَصِ الْإِقْتِرَابُ مِنَ الْمَارَّةِ أَوْ دُخُولُ الْقَرْيَةِ أَوْ الْمَدِينَةِ أَوْ التَّعَامُلُ مَعَ الْآخَرِينَ أَوْ حَتَّى الْإِقْتِرَابُ مِنْ ذَوِيهِمْ.. وَكَانَتْ مَعَانَاةُ الْأَبْرَصِ مِنَ الْعَزْلَةِ عَنِ الْمَجْتَمَعِ تَعَادُلُ مَعَانَاةِهِ مِنَ الْمَرَضِ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَشَدَّ.. فَمَنْ يَلْمَسُ أَبْرَصًا يُعْتَبَرُ نَجِسًا.

وَفِي مُعْجَزَةِ شِفَاءِ الْعَشْرَةِ رِجَالِ الْمَرِيضِ بِالْبَرَصِ الْمَذْكُورَةِ بِإِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ.. كَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُجْتَازًا فِي وَسْطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ.. لِذَا نَلَاخِظُ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَشْرَةِ الْمَرِيضِ بِالْبَرَصِ كَانَ سَامِرِيًّا.. هُوَ لَا سَمْعُوا عَنِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ صَانِعِ الْمَعْجَزَاتِ أَنَّهُ مُجْتَازُ الطَّرِيقِ الْمُوْدَى إِلَيْهِمْ.. رَيْبًا تَكُونُ الْأَنْبَاءُ وَصَلَتْهُمْ أَنَّهُ سَيَعْبُرُ قَرِيبًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ كَانُوا يَتَطَّلَعُونَ مِنْ بُعْدٍ وَعَيُونُهُمْ شَاخِصَةٌ إِلَى كُلِّ عَابِرٍ لِلطَّرِيقِ.. فَلَمَّا لَمَحُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَالتَّلَامِيذَ مُقْتَرِبِينَ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَائِلِينَ: "يَا يَسُوعَ يَا مُعَلِّمَ ارْحَمْنَا".. فَظَنَرَ وَقَالَ لَهُمْ: "اذهبوا أروا أنفسكم للكهنة".." فاستجابوا لقوله لإيمانهم بقدرته وسلطان كلمته فتحركوا".

مَا كَانَ يَجُوزُ لِلْعَشْرَةِ رِجَالِ الْمَرِيضِ بِالْبَرَصِ أَنْ يَتْرَكُوا مَكَانَهُمُ الْمَعزُولَ عَنِ الْقَرْيَةِ وَلَكِنْ لِإِيمَانِهِمْ بِسُلْطَانِ كَلِمَتِهِ انطلقوا.. وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَّرُوا!!.. كَانَ الْأَبْرَصُ عِنْدَ شِفَائِهِ يَذْهَبُ إِلَى الْكَاهِنِ لِتَأْكَدَ مِنْ شِفَائِهِ مِنْ بَرَصِهِ فَبِذَلِكَ يَكُونُ لَهُ الْحَقُّ فِي الْعُودَةِ إِلَى بَيْتِهِ لِيُمارِسَ حَقُوقَهُ كَامِلَةً كَأَيِّ إِنْسَانٍ غَيْرِ مُنْعَزَلٍ عَنِ الْمَجْتَمَعِ.. وَيُسَجَّلُ لُوقَا الْبَشِيرِ بِالْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ الْعِدَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ "أَنَّهُمْ فِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَّرُوا".." فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شَفِيَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللَّهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْ الرَّبِّ يَسُوعَ شَاكِرًا لَهُ.. كَانَ ذَلِكَ الْأَبْرَصُ الَّذِي نَالَ شِفَاءً سَامِرِيًّا.. وَحَسَبَ مَا جَاءَ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ: "أَنَّ الْيَهُودَ لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ"^٢

أَسْرَعَ التَّسْعَةَ عَائِدِينَ لِيُعْلِنُوا أَمَامَ الْكَهَنَةِ أَنَّهُمْ صَارُوا أَطْهَارًا.. وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ شَهَدُوا أَمَامَ الْجَمِيعِ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ سِرُّ شِفَائِهِمْ وَأَنَّ الْمُعْجَزَةَ تَحَقَّقَتْ لِحِظَةِ انْتِطَاقِهِمْ عِنْدَمَا أَمَرَهُمُ الرَّبُّ يَسُوعَ بِذَلِكَ.. وَبَعْدَ أَنْ تَأْكَدَ الْكَهَنَةُ مِنْ أَنَّهُمْ طَهَّرُوا ذَهَبُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ فَرَحِينَ بِأَنَّهُمْ طَهَّرُوا مِنَ الْبَرَصِ.. وَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ اسْتِقْبَالَهُمْ ذَوِيَهُمْ وَأَصْحَابَهُمْ بِأَجْمَلٍ مَا يَسْتَقْبَلُ الْأَحْبَاءُ بِهِ أَحْبَاءَهُمْ.. بَعْدَ ذَلِكَ رَاحُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِحَيَاتِهِمْ كَالْمُعْتَادِ.. وَانْتَهَتْ قِصَّةُ التَّسْعَةِ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَدِّ أَمَّا الْعَاشِرُ السَّامِرِيُّ الْغَرِيبُ الْجِنْسِ الَّذِي حَظِيَ بِشِفَاءٍ وَتَطْهِيرٍ كَأَقْرَانِهِ التَّسْعَةَ.. فَلَمْ تَنْتَهَ قِصَّتُهُ بَعْدَ.

إِنَّ لُوقَا الْبَشِيرِ يُسَجِّلُ فِي بَشَارَتِهِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ: "فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شَفِيَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللَّهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِرًا لَهُ وَكَانَ سَامِرِيًّا".." إِنَّ التَّسْعَةَ لَمْ يَفْكَرُوا أَنْ يُعْطُوا مَجْدًا لِلَّهِ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِمْ أَنْ يَقْدَمُوا شُكْرًا لِمَنْ شَفَاهُمْ وَطَهَّرَهُمْ مِنْ بَرَصِهِمْ.. فَبِإِجْرَاءِ تِلْكَ الْمُعْجَزَةِ صَارَ لَهُمْ الْحَقُّ فِي الْعُودَةِ إِلَى بُيُوتِهِمْ.. نَسُوا أَنْ يُعْطُوا الْمَجْدَ لِلَّهِ!.. وَالْأَسْفَاهُ!.. شَغَلَتْهُمْ الْعَطِيَّةُ عَنْ مُعْطِيهَا!.. نَالُوا بَرَكَاتِ الشِّفَاءِ وَانْتَفَحُوا بِهَا!..

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل لوقا ١٧: ١٥ - ١٦

^٢ إنجيل يُوحَنَّا ٤: ٩

لقد ضاعت منهُم بركة عظمتي!. إن هؤلاء التسعة يُمثلون غالبية البشر.. شغلتهُم دُنياهُم عن أديبتهم.. شغلتهُم عن تعظيم وتمجيد من خلقهم على صورته ودبر أمر خلاصهم وإنقاذهم من الهلاك الأبدى!. لقد عاش التسعة حياتهُم السابقة يتطلعون إلى شفاء الجسد ولقد نالوا شفاءً وتطهيراً.. ما دارَ بخلدهم أن الذى صرخوا إليه متضرعين لشفاء أجسادهم.. كان الأحرى بهم أن يصرخوا إليه متضرعين لشفاء أرواحهم أيضاً.. أما السامريّ غريب الجنس لما رأى أنه شفى رجح يمجّد الله بصوتٍ عظيمٍ وخرّ على وجهه عند رجليه شاكرًا له مُمجّدًا لله!.

كان التسعة يهودا ويسوع المسيحُ قد جاء لخاصته.. أما السامريّ فغريبُ الجنس وما كان من خاصته.. ولكن الذى فعله السامريّ نال استحساناً من السيد المسيح وأعطاه حقا مُكتسباً أدخله ملكوت الله وبذلك أصبح من خاصته!. لقد جاء السامريّ وأعطى مجداً لله وخرّ على وجهه عند رجليّ الرب يسوع شاكرًا له لذلك اكتسب بركة أعظم.. لقد قال له الرب: "قم وامض.. إيمانك خلصك".. فرجع إلى بيته مُطهراً من برصه مُبرراً من خطاياهِ وأثامِهِ فى الوقت الذى حرم التسعة أنفسهم من بركة الخلاص وهُم من المُعتبرين خاصة السيد المسيح!.

حسناً أن ينشأ المرء فى بيت مسيحي.. وتكون له عضوية بالكنيسة وله نشاط ملحوظ مرموق بها.. حسناً أن يُصلى ويصوم ويقرأ الكتاب المقدس بانتظام ولكن هذا وحده لا يكفي.. ما لم تكن للمرء علاقة شخصية بالله مبنية على معرفة حقيقية به.. إن الرب يسوع يقدم عتاباً للتسعة الذين نالوا شفاء أجسادهم ثم تركوه دون اهتمام بواجب كان مفروضاً عليهم مراعاته.. لذلك يتساءل الرب يسوع متألماً: "أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة؟!".

هل نتذكر إحسانات الرب علينا؟. هل يُمكننا إحصاؤها؟!.. محالٌ إحصاؤها فهى لا تحصى ولا تعد.. ليتنا نحاول أن نتذكرها.. عارٌ علينا لو نسينا الدم الطاهر الذى سوك من أجلنا على صليب الجلجثة.. ليتنا نقدم شكراً وحمداً وسجوداً ومجداً لله من أجل جوده وإحسانه علينا وعلى محبته العجيبة لنا نحن الخطاة.. فيقد أرسل الابن الوحيد ليفتدنا.. أوليس ذلك كان خطأ فادحاً وقع فيه التسعة؟!.. إذ لم يأتوا ليقدموا مجداً وشكراً لله لحسن صنيعه معهم؟. فلنتحذر نحن.. ليتنا نراجع أنفسنا ونحاسب ذواتنا على كل إحسان لم نقدم عنه شكراً لله.. ليتنا ندرّب أنفسنا حتى نعتاد الشكر الدائم لجلاله.. ولا ننسى حسنات الرب علينا بل نذكرها ونشكره عليها كل حين!.

منذ أسبوعين قمت مع أحد الإخوة المؤمنين بزيارة لأحد المسجونين الذين تعرفوا على الرب يسوع من وقت قريب فلم يكن مسيحياً.. ولما وصلنا إلى السجن طلبنا من الضابط المُختص السماح بزيارة ذلك المسجون.. ولم يكن ذلك المسجون يعلم أننا سنأتى لزيارته ذلك اليوم.. وكما كنا سعداء حينما استدعاه الضابط لمقابلتنا فجاءنا يحمل كتابه المقدس.. وعندما جلسنا معاً طلبت أن نبدأ بتقديم الشكر لله.. فاذا به بعد الصلاة يُبادرنا بالقول: أود أن أعرّفكم بأن قلبى يفيضُ بشكر عميق لإلهى.. ولست أجدُ كلاماً به أشكرُ ربى يناسبُ أعظم عطية وهبني إياها.. فسلامه يفيضُ به قلبى. إبنى وإن كنت سجيناً هنا ولكنى أتمتع بحرية أعرفُ كثيرين خارج السجن محرومين منها.

ثم قال: "إبنى اخترتُ استجابة الرب لصلاتي فهو مخلصى ومحررى من ذنوبى.. لقد خاطبتُ زوجتى بالتليفون هذا الأسبوع وعرفتُ أنها تعانى ضائقة مالية فرفعتُ قلبى إلى الله وسألته أن يُدبرَ احتياجاتِ أسرتى.. وفى اليوم التالى اتصلتُ بها وسألته عن أحوالها.. فأجابتنى أن كل شىء على ما يُرام.. شكراً للرب فهو راعى الذى لا يعوزنى إلى شىء".. لن يُجدينا نفعاً أن نكون من بيئة مسيحية متعبدة ونحن أنفسنا بعيدين عن الرب.. لن يُجدينا نفعاً أن نكتفى بإحسان زمنى ذنوبى ونشغلُ به كالتسعة الذين أضاعوا على أنفسهم الإحسان الأبدى!.

أدعوك أختى أن تصلى معى: أبانا السماوى.. أشكرُك من أجل عطايك الجزيلة وإحساناتك فهى عديدة.. ها أنا أتى إليك ومسررتى أن أعيش بقربك.. إبنى أتى إليك مُمجداً لاسمك ساجداً عند قدميك.. فاقبل سجودى ربى.. أرفعُ صلاتى فى اسم يسوع مخلصى.. وتقتى فى وعدك الصادق يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أختى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ إنجيل يوحنا ١: ١١ - ١٣

² رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى

سفر المزمير ١٠٣: ١ - ٥

سفر المزمير ٣٧: ٢٥ & ٢٣: ١

إنجيل يوحنا ١٤: ٢٧

سفر أيوب ٢٢: ٢١